

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَوْصِيكُمْ أَئُهَا النَّاسُ وَنَفْسِي
بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا
اللَّهَ... "

أُئُهَا الْمُسْلِمُونَ ، مِمَّا يُمَيِّزُ مُجْتَمَعَ الْمُسْلِمِينَ
أَنَّهُ مُجْتَمَعٌ مُنَظَّمٌ مُرَتَّبٌ ، وَاضِحَةٌ عِلَاقَةُ
الْفَرْدِ فِيهِ مَعَ رَبِّهِ وَمَعَ غَيْرِهِ ، بَلْ وَمَعَ
نَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، وَبِقَدْرِ مَا تَكُونُ
هَذِهِ الْعِلَاقَاتُ قَوِيَّةً مَتِينَةً ، شَدِيدَةً

الْعُرَى مُحْكَمَةُ الْفَتْلِ ، مُتَّبَعًا فِيهَا أَمْرُ
الشَّرْعِ وَمَا رَغَّبَ فِيهِ ، مُجْتَنِبًا نَهْيَهُ وَمَا
حَذَّرَ مِنْهُ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ تَسْتَقِيمُ حَيَاتُهُ
وَيَنْتَظِمُ أَمْرُهُ ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ وَتَهْدَأُ نَفْسُهُ
، وَيَنْشَرِحُ صَدْرُهُ وَيَرْتَاحُ بِآلِهِ ، وَيَكُونُ
لَهُ شَأْنٌ وَمَنْزِلَةٌ وَمَكَانَةٌ ، فَيُحِبُّهُ رَبُّهُ
وَخَالِقُهُ ، وَيَأْلَفُهُ مِنَ الْخَلْقِ مَنْ حَوْلَهُ ،
فَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيُدْعَى لَهُ ، وَتَتَيَسَّرُ أُمُورُهُ

وَيُوفَّقُ وَيُسَدَّدُ ، وَيَكُونُ فِي غَالِبِ حَيَاتِهِ
فِي سِتْرٍ وَعَافِيَةٍ .

وَالْفَرْدُ الْمُسْلِمُ فِي مُجْتَمَعِهِ يَكُونُ بَيْنَ
وَالِدَيْنِ وَإِخْوَةٍ وَأَعْمَامٍ ، وَأَقَارِبَ
وَأَصْهَارٍ وَأَرْحَامٍ ، وَجِيرَانٍ وَأَصْحَابِ
وَزُمَلَاءَ ، وَزَوْجَةٍ وَأَبْنَاءٍ وَحَفَدَةٍ ، وَلِكُلِّ
مِنْ هَؤُلَاءِ حَقٌّ يَجِبُ أَنْ يُعْطَاهُ مِنْ غَيْرِ
مَنْ وَلَا أَذَى ، وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
وَاجِبٌ لَا بُدَّ أَنْ يُؤَدِّيَهُ اتِّبَاعًا لِلْحَقِّ لَا

جَرِيًّا وَرَاءَ الْهَوَى ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
أَنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
لَأَبِي الدَّرْدَاءِ لَمَّا زَارَهُ : إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ
حَقًّا ، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ
عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .
فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ
ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :
" صَدَقَ سَلْمَانُ "

وَإِنَّ مِنَ الْحُقُوقِ الَّتِي خَصَّ الشَّرْعُ بِهَا فِئَةً
مِنَ الْمُجْتَمَعِ ، وَرَغَّبَ فِيهَا وَجَعَلَهَا فِي
مَكَانٍ عَالٍ وَمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ ، حُقُوقَ كِبَارِ
السِّنِّ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : "
إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ
الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ
وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ
الْمُقْسِطِ " رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ
. فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : أَرَانِي أَتَسَوَّكَ بِسِوَاكَ ،
فَجَاءَنِي رَجُلَانِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ
، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا ، فَقِيلَ
لِي : كَبِّرْ ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْهُمَا "
وَفِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يُسَلِّمُ
الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ
، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ " وَفِيهِمَا مِنْ

حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "
فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِنْ أَحَدُكُمْ ،
وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ " وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ : " إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمْ النَّاسَ
فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ ،
وَالضَّعِيفَ وَالْمَرِيضَ ... " الْحَدِيثُ ، رَوَاهُ
مُسْلِمٌ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : "
مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَكَبِيرَنَا فَلَيْسَ

مِنَّا " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ
وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ .

وَإِكْرَامُ الْكِبَارِ لَيْسَ بِصَعْبٍ وَلَا عَسِيرٍ ،
بَلْ هُوَ فِي الْوَاقِعِ سَهْلٌ يَسِيرٌ ، لِأَنَّ
الْغَالِبَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقْنَعُونَ بِالْقَلِيلِ
مِنَ الْجَمِيلِ ، لَكِنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي
يَحُولُ بَيْنَ بَعْضِ الْفِتْيَةِ وَالشَّبَابِ وَبَيْنَ
هَذِهِ الطَّاعَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَيُثْقِلُهَا عَلَى
نَفْسِهِمْ ، وَيَغُرُّهُمْ بِشَبَابِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ

وَفُتُوَّتِهِمْ ، وَيُنْسِيهِمْ أَنَّ أُولَئِكَ الْكِبَارَ
الَّذِينَ قَدْ اشْتَغَلَتْ رُؤُوسُهُمْ وَحِجَاهُمْ شَيْبًا
، كَانُوا قَبْلَ عِدَّةِ عُقُودٍ شَبَابًا أَقْوِيَاءَ
أَصِحَّاءَ ، لَكِنَّهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، يُولِدُ
الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ثُمَّ يَقْوَى ، ثُمَّ يَعُودُ
فَيَكْبُرُ وَيَشِيبُ وَيَضْعُفُ ، قَالَ سُبْحَانَهُ
: " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ
مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ
ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ

الْقَدِيرُ " أَجَلَ أَيُّهَا الْفِتْيَانُ وَالشَّبَابُ ،
إِنَّ مَنْ تَرَوْنَهُمُ الْيَوْمَ مِنْ كِبَارِ السِّنِّ مِنْ
الْآبَاءِ وَالْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ وَالْجِيرَانِ ،
كَانُوا مِثْلَكُمْ شَبَابًا ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ بَعْضُهُمْ
أَقْوَى مِنْكُمْ وَأَشَدَّ وَأَذْكَى ، وَمَا ضَعُفَ
مِنْهُمْ مَعَ كِبَرِ السِّنِّ إِلَّا أَبْدَانُهُمْ ، وَأَمَّا
عُقُولُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فَقَدْ زَكَّتْ وَنَضِجَتْ ،
وَأَمَّا نَظَرُهُمْ لِلْحَيَاةِ فَقَدْ اكْتَمَلَتْ
وَاتَّزَنَتْ ، فَلَا يُزْهَدَنَّكُمْ فِيهِمْ أَنْ قَصُرَتْ

أَبْصَارُهُمْ أَوْ ثَقُلَ سَمْعُهُمْ ، فَإِنَّ لَدَيْهِمْ
الْعِلْمَ وَالْبَصِيرَةَ وَالْحِكْمَةَ ، وَالتَّجَرِبَةَ
وَالدِّرَايَةَ وَالْخَبِرَةَ ، كَلَامُهُمْ ذُرَّرٌ ،
وَقِصَصُهُمْ عِبَرٌ ، وَلَدَيْهِمْ الْخَبَرُ ،
فَاسْتَفِيدُوا مِنْهُمْ وَشَاوِرُوهُمْ ، وَأَنْصِتُوا
لِنَصَائِحِهِمْ وَأَطِيعُوهُمْ ، وَخُذُوا
بِتَوْجِيهِهِمْ وَلَا تُخَالِفُوهُمْ ، وَابْدُؤُوهُمْ
بِالسَّلَامِ وَأَفْسِحُوا لَهُمُ الطَّرِيقَ ، وَلَا
تَمْشُوا أَمَامَهُمْ ، وَلَا تَتَقَدَّمُوا فِي الْمَجَالِسِ

بِرَأْيِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَاخْفِضُوا أَصْوَاتَكُمْ
عِنْدَهُمْ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ . أَجَلُ يَا مَعْشَرَ
الْفِتْيَانِ وَالشَّبَابِ وَالْأَبْنَاءِ ، اِحْرِصُوا
عَلَى إِكْرَامِ كِبَارِكُمْ ، وَلَا تُضِيعُوا فُرْصَةَ
وُجُودِهِمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَى
أَحَدِكُمْ يَوْمٌ يَلْتَفِتُ فِيهِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَإِذَا
هَذَا مَجْلِسُ أَبِيهِ ، وَتِلْكَ غُرْفَةُ أُمِّهِ ، وَهُنَا
كَانَ عَمُّهُ ، وَثُمَّ كَانَتْ خَالَتُهُ ، وَسَيَذْكُرُ
كِبَارًا كَانَ فِي يَوْمٍ مَا يَتَبَرَّمُ مِنْ مَطَالِبِهِمْ ،

وَيَتَمَحَّلُ الْأَعْدَارَ لئَلَّا يَجْلِسَ مَعَهُمْ ،
قَصَرَ فِي خِدْمَتِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ ، وَزَهَدَ
فِيهِمْ وَلَمْ يَحْرِصْ عَلَى إِدْخَالِ السُّرُورِ
عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهِمُ الْأَيَّامُ وَرَحَلُوا ،
فَيَوَدُّ حِينَئِذٍ لَوْ بَدَلَ مِمَّا فِي يَدِهِ شَيْئًا كَثِيرًا
وَأَنَّهُ يَرَاهُمْ وَيَسْعَدُ مِنْهُمْ بِدَعْوَةٍ خَالِصَةٍ
، أَوْ نَصِيحَةٍ صَادِقَةٍ ، أَوْ تَوْجِيهِ يَعْرِفُ
بِهِ وَجْهَتَهُ ، وَحِينَئِذٍ سَيَعْلَمُ إِذَا لَمْ يُكْرِمَهُ
مَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ ، أَنَّ مَا وَجَدَهُ فِي كِبَرِهِ

هُوَ نَتِيجَةُ مَا بَذَرَهُ فِي صِغَرِهِ ، فَمَنْ بَرَّ
بُرَّ بِهِ ، وَمَنْ أَكْرَمَ أَكْرَمَ ، وَمَنْ أَعْطَى
أَخَذَ ، وَالْبِرُّ لَا يَبْلَى ، وَالْإِثْمُ لَا يُنْسَى ،
وَالدِّيَّانُ لَا يَمُوتُ ، فَلْيَكُنِ الْمَرْءُ كَمَا شَاءَ
، فَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ ، وَهَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ
، وَقَدِّمُوا الْخَيْرَ تَجِدُوهُ ، وَابْذُرُوا الْبِرَّ
تَحْصِدُوهُ ، وَاغْرِسُوا الْإِحْسَانَ تَجْنُوا ثَمَرَتَهُ

، وَتَأْمَلُوا فِي وَصِيَّةِ اللَّهِ لِلْأَبْنَاءِ بِالْوَالِدَيْنِ
، وَمَا وَرَدَ مِنْ تَذَكِيرِهِ لَهُمْ بِكِبَرِهِمَا
وَاحْتِيَاجِهِمَا بِسَبَبِ ذَلِكَ لِلرَّحْمَةِ ، قَالَ
سُبْحَانَهُ : " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ
الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا .
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ
رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " فَكُلَّمَا

كَبِرَ الْوَالِدَانِ كَانَ وَاجِبُ الْبِرِّ بِهِمَا أَكْبَرَ
، وَكُلَّمَا ضَعُفَا كَانَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا
أَوْجَبَ ، وَالْغَالِبُ أَكْثَرُهُمَا قَدْ شَبِعَا مِنْ
الدُّنْيَا وَقِنَعَا ، فَلَا يُرِيدَانِ إِلَّا كَلِمَةً طَيِّبَةً
وَقَوْلًا كَرِيمًا ، وَعِبَارَةً لَيِّنَةً وَدُعَاءً وَثَنَاءً ،
فَانْتَبِهْ لِدَلِيلِكَ أَيُّهَا الْفَتَى أَوْ الشَّابُّ ، وَإِذَا
رَأَيْتَ ضَعْفَ وَالِدَيْكَ ، فَادْكُرْ ضَعْفَكَ
فِي صَغِيرِكَ ، وَإِذَا مَلَلْتَ مِنْ خِدْمَتِهِمَا
لِعَجْزِهِمَا ، فَادْكُرْ عَجْزَكَ عَنْ نَفْسِكَ فِي

صِغْرِكَ ، وَكَيْفَ أَتَاهُمَا حَمْلَاكَ وَرَبِّيَاكَ ،
وَمَنْحَاكَ وَأَعْطِيَاكَ ، وَصَبْرًا عَلَيْكَ
وَأَحْسَنًا إِلَيْكَ ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ
غَيْرِهِمَا لَكَانَ كَافِيًا فِي وُجُوبِ الْوَفَاءِ وَرَدِّ
الْجَمِيلِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَنْتَ جُزْءٌ مِنْهُمَا ،
وَبَضْعَةٌ مِنْ أَجْسَادِهِمَا ، وَقِطْعَةٌ مِنْ
قُلُوبِهِمَا ؟! فَاللَّهُ اللَّهُ يَا ذَوِي الْأَلْبَابِ
وَأَصْحَابَ الْعُقُولِ ، أَكْرِمُوا الشُّيُوخَ
وَأَجْلُوا الْكُهُولَ ، وَاعْتَنِمُوا وَقْتَ

وَجُودِهِمْ فَإِنَّهُ لَنْ يَطُولَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ
الْفُرْصَ تَمْضِي وَتَزُولُ ، وَأَنَّ مَنْ يَفْعَلِ
الْخَيْرَ لَا يُعَدِّمُ حُسْنَ الْجَزَاءِ...

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يُعَدِّمُ جَوَازِيَهُ
لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ